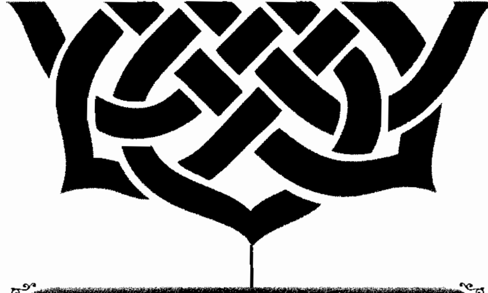
آيات السجدة وسياقاتها

دراسة بلاغية*



أستاذ البلاغة المساعد بقسم اللغة العربية- كلية الآداب - جامعة الملك عبدالعزيز

• من مواليد عام ١٣٨٤هـ بمكة المكرمة.
• تخرج في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى عام ١٤١٠هـ.
• نال شهادة الماجستير من قسم البلاغة والنقد- كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى . عام ١٤١٧هـ بأطروحته: **دور البلاغة العربية في دراسة النص الأدبي وتقويمه "**، كما نال شهادة الدكتوراه منه أيضا عام ١٤٢٥هـ بأطروحته: **الإنشاء ومواقعه في شعر هذيل."**.
• من أعماله المنشورة: : **كتاب "التحرير الكتابي" (بالاشتراك) ، "قصيدة قيس بن العيزارة : دراسة في جماليات النص".**
• البريد الشبكي: salmatrafi@hotmail.com

* دعم هذا البحث من قبل جامعة الملك عبد العزيز تحت الرقم ٢٢- ٤٢٩

الملخص

يركز هذا البحث على لغة القرآن الكريم التي بلغت الكمال اللغوي، ويحاول أن يستجلي الإعجاز البياني في القرآن الكريم من خلال النظر في آيات السجدة، وسياقاتها.

وقد تحدث الباحث في التمهيد عن فضل السجود بعامة، وسجود التلاوة بخاصة، وذلك من خلال الأحاديث النبوية، وذكر الباحث أيضا فيه آراء العلماء في آيات السجدة عددا وحكما. وفي المبحث الأول ذكر الباحث وجهة نظره حيال لفظ (السياق) الذي جاء في العنوان، محاولا التدليل عليه من خلال الموروث النقدي، ومن خلال آيات القرآن الكريم نفسه عند علماء الدراسات القرآنية، وكان الزركشي وبرهانه موطن هذا الاستشهاد. و المبحث الثاني جعلته منصبا على المقاصد الكلية للسور التي وردت فيها هذه الآيات، وربط ذلك بالسجود، وكانت تلك المقاصد هي الموجودة في كل أو جل السور لا بعضها، مثل كونها مكية، أو كونها منوّهة بشأن القرآن الكريم...الخ. وفي المبحث الثالث تحدثنا عن أثر السياق في ربط آيات السجدة بسورها، ووقفنا عند قضيتين: الأولى موضع آية السجدة بالنسبة للسورة ، وكيف أفضى سياق الأخيرة لبناء معين للآية يختلف من سورة لأخرى، فوقفنا مثلا عند صلة آية السجدة التي جاءت في نهاية السورة بمطلعها، وذكْر بعض الألفاظ مقدَّمة وفي آية أخرى مؤخرة، كالتكبُّر مثلا في سورتي الأعراف والنحل، ووجود التضاد في سورة الرعد وصلته بالسورة كلها...الخ، والقضية الثانية هي ورود لفظ الجلالة (الله) أو صفة الربوبية أو صفة الرحمن في آيات السجدة ولماذا يأتي لفظ الجلالة تارة في آية ويأتي بالصفة الأخرى في آية ثانية، وبيّنا كيف يرتبط ذلك بكثرة أو قلة ورود ذلك الاسم العظيم لله جل وعلا، وتلك الصفات الأخرى، وفي المبحث الرابع وقفنا عند أهم الخصائص الأسلوبية التي رأينا أنها تدعم أثر السياق في بناء الآية، ولم نقف وقفات مستقصية عند كل لفظ أو بناء حتى لا يتشعب بنا البحث، ثم ختمنا البحث ببعض النتائج التي توصلنا إليها.

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، وصلاة وسلاما على أشرف الأنبياء والمرسلين، وبعد:

فإن الدراسات والأبحاث التي يكون ميدانها كتاب الله تستمد أهميتها، وثراءها من هذا الكتاب العزيز، بالإضافة إلى أن كل تلك الدراسات، والأبحاث، والتفاسير التي تملأ المكتبات منذ عصور هي أكبر دليل على ذلك الثراء المنقطع النظير لهذا الكتاب العزيز ؛ فالكل يجد فيه مجالا خصبا لتقليب النظر في بيانه، وما يحمله ذلك البيان من بناء محكم، عزيز، متماسك، لا يدانيه نص على ظهر البسيطة.

ونحن إذ نحاول في هذا البحث أن ندلي بدلونا على قلة الجهد، وضعف الرشاء فإننا إنما نمس جانبا عزيزا من جوانب آيات الله نؤكد من خلالها ثراء هذا الكتاب، وقوّة بنائه.

وخصصنا آيات السجدة بالبحث لأنها آيات لها خصائص متقاربة من حيث دلالتها على السجود، وقرب بنائها من بناء الآيات الأخرى في نفس السياق، ومن حيث أثر سياقها ضمن سورها في ذلك البناء.

و ليس هناك رسالة علميّة تخصصت في البحث عن سياقات آيات السجود على حد علمي، وهناك كتاب للدكتور مالك حسين الدسوقي النعيري بعنوان: (من بلاغة القرآن فيما يسجد العباد بسببه للرحمن)، وقد تناول فيه المؤلف آيات السجدة آية آية، وكان يعرض لكل آية منفصلة عن أختها، وينظر في سياقها كما يقول في سورتها، ولم ينظر لهذه الآيات نظرة شاملة تدمج الآيات مع بعضها، وتظهر خصائصها، وأثر سياقها في بنائها، وقد وعد بهذا في مقدمة بحثه؛ ولكن جاء البحث أجزاء متفرقة لا رابط بينها، ومع ذلك فقد كان الدكتور مالك النعيري ضمن كوكبة من العلماء الذين خدموا كتاب الله جل وعلا، منذ فجر نزوله إلى وقتنا الحاضر، ولعل كتب التفسير البياني هي وجهة الباحث عن مواطن الإعجاز القرآني، وبيان بعض متشابه النظم فيه ، وهو ما أوليته عناية كبيرة في هذا البحث.

التمهيد

تحمل آيات القرآن الكريم عدة مزايا تنمّ عن إعجازه، وقدرة وإحاطة منزله جل وعلا، وآيات السجدة لها طراز من البناء والإحكام، شأنها شأن بقية آيات الله جل وعلا، وهذا الإحكام آت من خلال وحدة موضوعها، و قرب دلالاتها، وتغيّر بنائها في آن واحد، وهذا كله يمكن تفسيره من خلال السياق، سواء كان سياقا قريبا، أو بعيدا ؛ فالأمر بالسجود يعم تلك الآيات، و تغيُّرَ بنائها يلحظ فيه ذلك السياق، ويجعله بناءً مغايرا، سواء كان في ورود لفظ الجلالة تحديدا، أو بعض صفاته جل وعلا، أو كان ذلك من خلال عينّة الساجدين التي تختلف من آية لأخرى، أو غير ذلك مما سيتضح في ثنايا هذا البحث بعون الله.

١- بعض الأحاديث التي وردت فيها وفي السجود بعامة:

لا شك أن السجود هو الأدل على كمال الخضوع لله جل وعلا ؛ حيث يسجد العبد على الأرض، وتلك غاية العبادة الحسية، فإذا وافق ذلك إيمان قلبي فقد كمل إيمان العبد.

والأحاديث التي بيّنت فضل السجود كثيرة عموما، من ذلك:

ما حدّث به مَعْدَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ الْيَعْمَرِيُّ قَالَ: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهَّ ﷺ فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللهَّ بِهِ الْجَنَّةَ، أَوْ قَالَ قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهَّ، فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللهَّ ﷺ فَقَالَ: ((**عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ ؛ فَإِنَّكَ لا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إلا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً**))[١].

وما حدّث به رَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الْأَسْلَمِيُّ قَالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهَّ ﷺ فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ فَقَالَ لِي: ((**سَلْ**))، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: ((**أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ**))، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ قَالَ: ((**فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ**))[٢].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب: فضل السجود والحث عليه، حديث رقم ٤٨٩٥، ٢/ ٣٧٩.

(٢) المصدر السابق، كتاب: فضل السجود والحث عليه، حديث رقم ٤٨٩٦، ٢/ ٣٧٩.

أما ما يخص سجود التلاوة فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا قرأ بن آدم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي، ويقول: يا ويله أمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة، وأمرت أنا بالسجود فعصيت فلي النار**»[(١)].

٢- آراء العلماء في هذه الآيات عددًا وحكمًا:

جمع تلك الآراء أبو حيان في البحر المحيط فقال عن عددها: «وقيل: سجود التلاوة أربع سجدات [ألم تنزيل] [وحم تنزيل] والنجم والعلق، وذكر عن ابن عباس أنها عشر، أسقط آخر الحج وص وثلاثاً في المفصل، وروي عن مالك إحدى عشرة، أسقط آخرة الحج وثلاث المفصل، وعن ابن وهب أربع عشرة، أسقط ثانية الحجّ، وهو قول أبي حنيفة والشافعي، لكن أبو حنيفة أسقط ثانية الحج وأثبت ص، وعكس الشافعي، وعن ابن وهب أيضاً وابن حبيب خمس عشرة، آخرها خاتمة العلق، وعن بعض العلماء ست عشرة، وزاد سجدة الحجر» [(٢)].

وقال عن آراء الفقهاء بشأن حكم السجود: «والجمهور على أنه ليس بواجب، وقال أبو حنيفة: هو واجب ولا خلاف في أن شرطه شرط الصلاة: من طهارة خبث، وحدث، ونيّة، واستقبال، ووقت، إلاّ ما روى البخاري عن ابن عمرو وابن المنكدر عن الشعبي أنه يسجد على غير طهارة، وذهب الشافعي، وأحمد، وإسحاق إلى أنه يكبر ويرفع اليدين، وقال مالك: يكبر لها في الخفض، والرفع في الصلاة، وأما في غير الصلاة فاختلف عنه، ويسلّم عند الجمهور، وقال جماعة من السلف وإسحاق: لا يسلِّم، ووقتها سائر الأوقات مطلقاً ؛ لأنها صلاة بسبب، وهو قول الشافعي وجماعة، وقيل: ما لم يسفر ولم تصفرّ الشمس، وقيل: لا يسجد بعد الصبح، ولا بعد العصر، وقيل: بعد الصبح لا بعد العصر، وثلاثة الأقوال هذه في مذهب مالك، وفي سنن ابن ماجه عن ابن عباس أنه ﷺ كان يقول في سجود

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢/ ٦٩: باب إطلاق اسم الكفر على من ترك الصلاة.

(٢) البحر المحيط في التفسير، لابن حيان ٥/ ٢٦٤.

التلاوة: ((**اللهم احطط عني بها وزراً، واكتب لي بها أجراً، واجعلها لي عندك ذخراً**))، ومشهور مذهب مالك أنه لا يسجد في الفريضة سرًّا كانت أو جهراً، ومذهب أبي حنيفة أنه واجب على السامع قصد الاستماع أوّلاً» [(١)].

وقد دار البحث في العشر الآيات الأول من آيات السجدة؛ حتى تكون أنموذجا لغيرها من الآيات، ورغبة في التركيز والاختصار، ولأن هذه الآيات تفي بالغرض فيما يعتقد الباحث ؛ حيث يتجلى فيها السياق مؤثرا في بناء الآيات.

(١) البحر المحيط ٦ / ٣٦٩

المبحث الأول
السياق الذي نقصده

إن بناء القرآن بناءٌ محكم، علم ذلك من علمه، وجهله من جهله، وإننا إذ نحكم على ذلك البناء بالإحكام، وحسن النسق لسنا الوحيدين في هذا الحكم، وليس ذلك نابعا من دراسة شخصية مستفيضة لكل سور القرآن، بل ذلك يعود إلى منزل القرآن سبحانه وتعالى؛ فالقرآن الكريم كلامه جل وعلا، وهو صفة من صفاته الذاتية .

ثم القياس- مع الفارق-، فهذا كلام البشر متمثلا في النصوص الأدبية حيث نجد الشاعر قد اتسق بناء قصائده في شتى الموضوعات التي يطرقها، ولم نجد أحدا رمى الشعر الجاهلي في عصره بالتفكك والاضطراب، وحتى الذين رموه بهذا الأمر في عصورنا المتأخرة كالعقاد[1]والنويهي[2]مثلا وجدوا من ينقض حججهم، ويظهر تناغم القصيدة العربية رغم ما فيها من موضوعات شتى[3].

لقد سعى النقاد قديما إلى دراسة منازع الشعراء في بناء قصائدهم؛ يحدوهم إلى ذلك الانطلاقُ من أنه لابد من تعليل لهذه القفزات الشعورية الموجودة في ذلك الشعر الغنائي؛ ولهذا عللوا لبناء القصائد التي يظهر فيها تشتت موضوعاتها: من البكاء على الأطلال، وذكر الرحلة، والبكاء على الصاحبة في خضم المدح والفخر؛ فابن قتيبة يقول في مقدمة كتابه الشعر والشعراء: «وسمعت بعض أهل الأدب يذكر أن مقصد القصيد إنما ابتدأ فيها بذكر الديار، والدمن والآثار، فبكى وشكا، وخاطب الربع، واستوقف الرفيق، ليجعل ذلك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها... ثم وصل ذلك بالنسيب فشكا شدّة الوجد وألم الفراق... ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الأسماع إليه ؛ لأن التشبيب قريب من

---

(١) انظر: ساعات بين الكتب، ص ٣٤٦.

(٢) انظر: قضية الشعر الجديد- محمد النويهي ص ١٠٨-١٠٩ .

(٣) انظر مثلا : حديث الأربعاء طه حسين ١/ ٣٠.

النفوس لائط بالقلوب... فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه، والاستمتاع له، عقّب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره، وشكا النّصب والسهر، وسُرى الليل، وحرّ الهجير، وإنضاء الراحلة والبعير. فإذا علم أنه قد أوجب على صاحبه حقَّ الرجاء، وذمامة التأميل....بدأ في المديح، فبعثه على المكافأة، وهزّه للسماح، وفضّله على الأشباه ، وصغّر في قدره الجزيل» [(١)].

وهذا قاطع في أن الرجل يتحدث عن القصيدة التي طال بناؤها، وتعددت موضوعاتها، فتسلسلت تلك المواضيع بما يخدم الغرض الكلي، وهو إيصال الرسالة التي يريد الأديب، وإذا كانت القصائد التي بهذا الشأن من الطول والتنوّع قد عللها ابن قتيبة فإن ما قلّ منها لن نعدم له توجيها ، وهذا التوجيه إنما هو بعضٌ من مرادات الشاعر المستكنة خلف صياغاته، وبناء قصيدته.

وقد نقل ابن رشيق رأيا شهيرًا للحاتمي يتحدث فيه بوضوح شديد عن أن القصيدة يجب أن تكون بناءً واحدا متماسكا كخلق الإنسان، وقيام كل عضو فيه بمهمته مع تناسقه مع غيره من المهام فقال: «وقال الحاتمي: من حكم النسيب الذي يفتتح به الشاعر كلامه أن يكون ممزوجاً بما بعده من مدح أو ذم، متصلاً به، غير منفصل منه، فإن القصيدة مثلها مثل خلق الإنسان في اتصال بعض أعضائه ببعض، فمتى انفصل واحد عن الآخر وباينه في صحة التركيب، غادر بالجسم عاهة، تتخون محاسنه، وتعفّي معالم جماله، ووجدتُ حذاق الشعراء، وأرباب الصناعة من المحدثين يحترسون من مثل هذه الحال احتراساً يحميهم من شوائب النقصان، ويقف بهم على محجة الإحسان»[(٢)]. وهما بهذا الرأي لا يجدون في الشعر القديم تفككا واضطرابا.

ونحن على ثقة لا يخالجها شك أن اللغة العربية في القرآن الكريم بالغة الكمال، ولن يدانيها كلام لبشر مهما أوتي من البيان والفصاحة.

---

(١) الشعر والشعراء ، لابن قتيبة ١/ ٧٤-٧٥

(٢) العمدة في محاسن الشعر وآدابه ، لابن رشيق القيرواني ٢/ ١٥٣-١٥٤.

ونحن نحاول في هذا البحث أن نستجلي أسرار وبيان آيات السجدة ، واضعين في أذهاننا إحكام وقوّة بناء القرآن بيانيا، وأن الآية قد أثر فيها سياقها القريب، والبعيد، ومقاصد السورة الكلية.

ثم إن السياق الذي نرى له ذلك الأثر هو«تتابع المعاني وانتظامها في سلك الألفاظ القرآنية لتبلغ غايتها في بيان المعنى المقصود دون انقطاع أو انفصال»(1).

وفحوى ذلك أن تتلاحم الآيات في السورة الواحدة مهما طالت ، فنجد في كل آية، وفي كل مقطع ما يشي بما سبق أو سيلحق من آيات.

بل إن الزركشي يقول: «والذي ينبغي في كل آية أن يبحث أوّل كل شيء كونها مكملة لما قبلها أو مستقلة ، وثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها... » (2).

وقد طبق ملاحظته تلك عن السياق، وأثره على عدد من الآيات كقوله تعالى في سورة النحل: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[١٨]، وفي قوله تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[٣٤].

ثم سأل سؤالا فحواه: لماذا خُصصت آية النحل بوصف المنعِم وآية إبراهيم بوصف المنعَم عليه ؟ وأجاب ملاحظا سياق كل آية: «والجواب أن سياق الآية في سورة إبراهيم في وصف الإنسان وما جُبل عليه فناسب ذكر ذلك عقب أوصافه، وأما آية النحل فسيقت في وصف الله تعالى وإثبات ألوهيته، وتحقيق صفاته، فناسب ذكر وصفه سبحانه»(3)، وإن كان لنا أن نضيف إلى ما قاله الزركشي عن سياق الآيتين فإننا نلاحظ أن سياق آية إبراهيم ذكر قبلها الحديث صراحة عن كفر النعم كما هو واضح في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ [إبراهيم:٢٨]، ثم ذكر في المقابل الذين آمنوا بالله تعالى، وكيف أن الله

(١) نظرية السياق القرآني: دراسة تأصيلية دلالية نقدية ، د. المثنى عبد الفتاح محمود، ص ١٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن ، للزركشي، ١/ ٣٧.

(٣) السابق ج١ / ص ٨٦

تعالى امتن عليهم بالثمرات، وتسخير الفلك، والأنهار، والشمس، والقمر، والليل، والنهار، فناسب أن يذكر هنا كفر ابن آدم وجحده، أما آية النحل فكما قال الزركشي كان سياقها سياق إثبات ألوهية الله جل وعلا، ولم يسبق هذه الآية ذكر للأمم المكذبة كما في سورة إبراهيم. هذا فضلا عن أن سورة النحل ذكر فيها كثير من النّعم؛ حتى إنها تسمى في بعض الروايات بسورة النعم[1]، ففيها نعم متعددة بدءاً من خلق الأنعام ومنافعها، وإنزال الماء من السماء للشرب، وإنبات الزرع، والزيتون، والنخيل، والأعناب ، وتسخير الليل، والنهار، والشمس، والقمر ، ثم تسخير البحر وما فيه من مأكل، وزينة، وتسخير الأرض وما فيها من أنهار، وسبل... وكان ورود هذه النعم في أول السورة ، ولم تسبق بآية كفران للنعم كما مر في سورة إبراهيم، ولأجل ذلك ناسب أن تختم الآيات بالمنعِم جل وعلا وهو (الغفور الرحيم)، ولا يناسبها أن يذكر فيها الكفر والظلم .

---

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٩/ ٤٦٤.

المبحث الثاني

بيان المقاصد الكلية للسور التي وردت فيها هذه الآيات

عندما نمعن النظر في السور التي وردت فيها هذه الآيات نجد أنها سور مكية إلا سورة الحج، فقد اختلف في كونها مدنية أو مكية، وهذه خاصية توجب النظر في السور المكية، وكيف أن من مقاصدها الشهيرة تثبيت العقيدة في النفوس؛ لأنها الدافع المؤثر في قبول التشريع بعد ذلك.

ولاشك أن زلزلة العقائد الفاسدة الموروثة لدى القوم آنذاك أمر في غاية الأهميّة، ومن تزلزلت لديه تلك العقيدة الفاسدة الموروثة قمين به أن يتقبل التشريع بعد ذلك.

والسجود وإشاعته بين المؤمنين مما يزلزل العقائد الفاسدة، ويرغم أنوف الكفرة المعاندين؛ فليس الأمر أمر كلمة تقال، مع عظمها على الأنفس- وهي كلمة التوحيد - بل يصاحب ذلك سجود خاص ليس القصد منه الدخول في الصلاة مثلا، ولكن سجود في كل آن وحين ، وذلك من إشاعة وتثبيت العقيدة ، خصوصا أن الصلاة لم تفرض إلا حينما أسري بالرسول عليه الصلاة والسلام قبل الهجرة بسنتين إلى ثلاث سنوات؛ فيكون سجود التلاوة الذي نُدب إليه في الفترة المكية تربية للمؤمنين لسجود آخر يفرض فرضا.

كذلك نجد من المقاصد الكلية لهذه السور أنها تعنى بالتنويه بالقرآن الكريم، سواء كان ذلك في مطلع السور ، أو في ثناياها قبل أو بعد آيات السجدة ؛ فمثلا في سورة الأعراف يقول تعالى في مطلعها:﴿ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِى صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۗ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾، وفي سورة الرعد يقول تعالى:﴿ الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ﴾، وفي سورة النمل يقول تعالى:﴿ طسٓ ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْقُرْءَانِ وَكِتَابٍ مُّبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾،

وفي سورة النحل نجد الأمر مختلفا؛ فالتنويه بالقرآن الكريم لم يأت في مطلع السورة بل في ثناياها، وكان عن طريق سؤالين لفريقين ترتب على الإجابة عنهما عذاب وثواب، قال تعالى عن المستكبرين الذين سبقوا في الآية السابقة، أو كفار مكة كما نقله الألوسي في تفسيره: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾[٢٤-٢٥]، وقال عن الفريق الآخر المؤمن: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ خَيْرًا لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [النحل:٣٠]، وفي سورة مريم ذكر التنويه بالقرآن الكريم بعد آية السجدة، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَيُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا وَأَحْسَنُ نَدِيًّا ﴿٧٣﴾ ﴾.

وفي سورة الحج جاء التنويه قبل آية السجدة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يُرِيدُ ﴿١٦﴾ ﴾ ، وبعدها في أكثر من آية.

ونعمة القرآن الكريم على العباد نعمة عظيمة جدا تستوجب شكر الله جل وعلا، ومن الشكر الحسي السجود له جل وعلا.

ثم إن المنهج العلمي يحتم علينا القول: بأن التنويه بالقرآن الكريم لا تختص به هذه السور بل ورد ذلك في عدد كبير من سور أخرى ليس فيها من آية من آيات السجدة، ومن ذلك سورة البقرة حيث يقول تعالى في مطلعها: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ﴾، وكذلك جاء التنويه بالقرآن في سورة الأنعام والأنفال ويونس ، وفي غيرها من السور، والباحث عن فحوى هذا التنويه في هذه السور سيجد علقة واضحة بينه وبين آياتها.

ثم وجدنا من مقاصد السور الكلية ذكر خلق الله جل وعلا، والتأكيد على الخلق العظيم الذي تلامس منته العباد؛ كخلق السموات، والأرض، واختلاف الليل والنهار: ففي سورة الأعراف يقول تعالى عن خلق السموات والأرض:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾.

ويقول تعالى عن تسخير الرياح: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٥٧].

وفي سورة الرعد يقول تعالى عن رفع السماء وتسخير الشمس والقمر ومد الأرض...: ﴿الٓمٓر ۚ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ۗ وَٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾.

وكذلك في سورة النحل يقول تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾﴾، ويقول تعالى ذاكرا نعمته على عباده بخلق الأنعام: ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾﴾، وتتوالى الآيات بعد هذه لبيان كثير من النعم التي تفضل الله جل وعلا بها على عباده.

وفي سورة الحج تلابس تلك المخلوقات آية السجدة مباشرة.

وفي سورة الفرقان يقول تعالى: ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾.

وفي سورة مريم اتخذ الأمر طريقا آخر ببيان قدرته جل وعلا في كثير من الخلق الذي يصادم النواميس التي يعرفها البشر: فزكريا عليه السلام يسأل الله جل وعلا الولدَ

بعد أن بلغ من العمر عتيا فيستجيب له سبحانه يقول تعالى:﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ [مريم:٧].

وقصة عيسى عليه السلام فيها ما يصادم ما عهد الناس في شأن الحمل والولادة.

ولا شك أن ذكر هذه المخلوقات العظيمة له أثره العظيم أيضا في قضية السجود، وأحقيتها لله جل وعلا الذي خلق هذه الأجرام، وجعل فيها مصالح كبيرة لخلقه من البشر، وكما قلنا بالنسبة لورود التنويه للقرآن الكريم في غير السور التي وردت فيها آيات السجدة ، فكذلك خلق الله تعالى الذي ذكرنا والذي لم نذكر ورد في غير سورنا التي نقف عندها ، والباحث المدقق يجد علقة وإحكاما بين ورود ذلك الخلق العظيم ومقاصد وسياقات تلك السور.

المبحث الثالث

أثـر السياق في ربط آيات السجدة بسورها

أ / موضع آية السجدة وصلته بالسياق:

عندما ننظر في المقاصد الكلية للسور التي فيها آية سجدة نجد أن تلك المقاصد أفضت لبناء معين لتلك الآية؛ حيث تختلف في بنائها عن آية أخرى في سورة أخرى؛ ففي سورة الأعراف والإسراء جاءت آية السجدة في نهايتهما، ولو أمعنا النظر لوجدنا علاقة ظاهرة بين المطلع وآيتي السجدة في كلتا السورتين:

ففي سورة الأعراف قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾.

وقد جاء في مطلع السورة الحديث عن القرآن الكريم كما سبق أن أشرنا مع ملاحظة ذكر ضمير المخاطب وهو الرسول عليه الصلاة والسلام: ﴿ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِۦ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[الأعراف:١-٢]، ومع ضمير المخاطب ضمير المخاطبين أيضا في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾[الأعراف:٣]، وفي آية السجدة في آخر السورة لا يغيب هذا الضمير: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ ﴾ أما ضمير المخاطبين في المطلع فإنه فحوى الذين سجدوا لله تعالى ولم يستكبروا كما في آية السجدة.

ثم نلاحظ في المطلع الحديث عن المؤمنين الذين أُنزل إليهم القرآن إنذارا وذكرى، فالرسول عليه الصلاة والسلام أُمر أن يتبع هذا القرآن، ولا يتبع ما دونه من أولياء، وفي آية السجدة ذكرت هذه الأصناف نفسها؛ حيث عدم الاستكبار، وهو غاية الذل لله تعالى، ولاشك أن عبادته، والإيمان به سبحانه آية على الخضوع له والتذلل، ثم نجد في آية السجدة تقديسه و تنزيهه سبحانه، وهذا ديدن المؤمنين، ثم توّج ذلك كله بالسجود، وهو أقصى عمل حسي مادي يظهر فيه التذلل له سبحانه.

بل إن في مطلع السورة الحديث عن الفريق الذين تنكبوا طريق الحق، وكيف جاءهم بأس الله تعالى، وهذا معزز للسجود له تعالى سجود اعتراف بألوهيته واستحقاقه، وكذلك سجود شكر أن نجي المؤمنون من هذا الطريق.

أما في سورة الإسراء فقد جاءت آية السجدة قرب نهاية السورة، ولها علقة بمطلعها لا يخطئها النظر أيضا، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾.

يوجد في الآية ارتباط لفظي بمطلع السورة، وارتباط معنوي كذلك، أما الارتباط اللفظي فنجده في التسبيح؛ حيث بدئت به السورة: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾، بل إن التسبيح تكرر فيها ثمان مرات، وهو أكثر مما تكرر في غيرها من السور[1]، و كأنه قطب رحاها، فإذا جاءت آية السجدة وفيها التسبيح فذلك ضمن سياقها .

وكذلك من الرباط اللفظي قضية الوعد، ففي مطلع السورة قال تعالى قاضيا على بني إسرائيل بالإفساد في الأرض مرتين، وأنه سبحانه سيبعث عليهم في الإفساد الأول عبادا له يجوسون خلال الديار: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾، وفي آية السجدة يأتي لفظ الوعد: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا﴾، وقد وجهه العلماء إلى أنه الوعد الذي سبق في الكتب السابقة بإنزال القرآن الكريم، فيلتقي الوعد بما قضاه الله جل وعلا على بني إسرائيل من الإفساد، وما وعد به تعالى في الكتب السابقة بإنزال القرآن، وبعث الرسول عليه الصلاة والسلام.

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي مادة (سبح).

مع ملاحظة أن هناك من يرى أن فساد بني إسرائيل الأول كان في زمن الرسول عليه الصلاة والسلام ، والفساد الثاني لمّا يأت بعد، وهو ما نرى بوادره تلوح من تجمعهم في بلاد المقدس، قال ذلك الشيخ الشعراوي[(١)]، فإذا أخذنا بهذا الرأي، وهو جد قريب من الواقع فإن ما يقوله الساجدون من تحقيق الوعد: ﴿إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴾ سيشير إلى الوعد بالقضاء على بني إسرائيل بالفساد وما سيحيق بهم ، ولا يعارض هذا الرأيُ الرأيَ السابق وهو الوعد بإنزال القرآن وبعثة الرسول عليه الصلاة والسلام.

هذا وقد سبقت آيةٌ مهّدت لهذا السجود، وما يقول فيه الساجدون من التسبيح حيث تسبّح له سبحانه السموات السبع ومن فيهن...قال تعالى:﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾[الإسراء:٤٤]، مع ملاحظة تكاثر لفظ التسبيح في هذه الآية.

وهكذا نجد الآية حلقة ضمن سلسلة من المعاني المنداحة شيئا فشيئا؛ فإذا كانت السموات السبع والأرض ومن فيهنّ ، والوجود كله يسبح فإن تسبيح الذين أتوا العلم تحصيل حاصل؛ لأنهم ضمن هذا الكون، ثم في تخصيصهم بعد العموم الموجود في هذه الآية دلالة على شرف من أوتي العلم.﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾[فاطر:٢٨].

ويرى ابن عاشور أن إسناد التسبيح إلى كثير من الأشياء التي لا تنطق يدل على أنه مستعمل في الدلالة على التنزيه بدلالة الحال[(٢)]، وعليه يكون التسبيح هنا تسبيحَ تنزيه، والتسبيحُ في آية السجدة تسبيح تنـزيه بدلالة الحال حيث السجود، وبدلالة المقال حيث النطق به.

---

(١) تفسير الشعراوي ١٤/ ٨٣٥٣، ٨٣٦٩ بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور مج ٧، جزء ١٥/ ١١٤.

وإذا كانت آية السجدة في سورة الأعراف قد جاء فيها ذكر عدم التكبر من عباد الله، فلقد تكرر هذا الخلق القبيح اثنتي عشرة مرة في هذه السورة[1]، وكان أول ورود لهذا الخلق الذميم في قصة إبليس، وهي أس الاستكبار ومنبعه، قال تعالى بعد أن أمر إبليس بالسجود فرفض: ﴿ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴾ [الأعراف:١٣]، وانظر بقية الآيات: ٣٦-٤٠-٤٨-٧٥-٧٦-٨٨، ولهذا تقدم هذا اللفظ على السجود في هذه الآية: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ ﴾ [الأعراف:٢٠٦]، بينما تأخر عنه في سورة النحل: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾، لأن هذه السورة ليس فيها ذكر لقصة إبليس مع أبينا آدم، ولم يتكرر فيها لفظ التكبر إلا أربع مرات فقط، وكذلك تأخر هذا اللفظ في آية السجدة من سورة السجدة، حيث لم يوجد هذا اللفظ إلا في تلك الآية، ولم تشتمل السورة على قصة إبليس مع آدم عليه السلام، يقول تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ [١٥].

وعن هذه الآية الأخيرة يقول البقاعي عن سياقها القريب: «ولما كان قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [السجدة:١٠] قد أشار إلى أن الحامل لهم على الكفر الكبرُ، وذكر سبحانه أنه قسّم الناس قسمين لأجل الدارين، تشوفت النفس إلى ذكر علامة أهل الإيمان كما ذكرت علامة أهل الكفران، فقال معرفاً أن المجرمين لا سبيل إلى إيمانهم...: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾ الدالة على عظمتنا ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا ﴾ من أيّ مذكر كان، في أيّ وقت كان، قبل كشف الغطاء وبعده ﴿ خَرُّوا۟ سُجَّدًا ﴾ أي بادروا إلى السجود مبادرة من كأنه سقط من غير قصد»[2]، وهذه الملاحظة من البقاعي مردها لختم الآية بنفي الاستكبار.

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة:كبر

(٢) نظم الدرر في تناسب السور للبقاعي ٦/ ٥٧.

وكذلك نستطيع توسيع سياق الآية لنجد القرآن الكريم يذكر الذين أجرموا وقد نكست رؤوسهم عند ربهم، تتشوف أنفسهم للعودة للدنيا ليؤمنوا بعد أن أبصروا الحقيقة، وجاءت آية السجدة بعد عرض هذا الفريق لتظهر الفريق المقابل وهم الذين آمنوا حقا، وتشربوا الإيمان المفضي للسجود له تعالى، فخضعت رؤوسهم حينئذ إجلالا لله تعالى وخشية، واستحقاقا، ولم تتنكس كرؤوس من كفر واستكبر، وجاءت الآية بأداة القصر (إنما) وهي تشير إلى شيوع هذه الخاصية في المؤمنين، وهي تشبعهم بإجلال الله تعالى، وكأن ذلك من المسلمات، أو ما ينبغي أن يكون كذلك، يقول الإمام عبد القاهر عن (إنما): «اعلمْ أنَّ موضوعَ (إنما) على أن تجيءَ لخبرٍ لا يجهلهُ المخاطَب ولا يدفَعُ صحَّتَه أو لما ينزَّل هذه المنزلة. تفسيرُ ذلك أنك تقولُ للرجل: إنّما هو أخوكَ وإنما هُوَ صاحُبك القديمُ لا تقولُه لمن يجهلُ ذلك ويدفُع صحتَه ولكن لمن يعلَمُه ويُقرُّ به. إلاَّ أنَّك تريدُ أن تنبهَهُ للذي يجبُ عليه من حقِّ الأخِ وحرمةِ الصاحِب... ومثالُه منَ التنزيلِ قولُه تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام:٣٦] ...كلُّ ذلكَ تذكيرٌ بأمرٍ ثابتٍ معلوم. وذلك أنَّ كلَّ عاقلٍ يَعْلَمُ أنه لا تكونُ استجابةٌ إلاّ ممَّن يسمعُ ويَعقِلُ ما يقالُ له ويُدْعى إليه. وأنَّ مَنْ لم يسمعْ ولم يَعْقِلْ لم يستَجِبْ...وأمَّا مثالُ ما ينزَّلُ هذه المنزلةَ فكقولِه:

إنـــما مُصْـــعَبٌ شِـــهابٌ مِـــنَ الله تَجلَّـــتْ عـــن وَجْهـــهِ الظَّلْـــماءُ

ادَّعى في كونِ الممدوحِ بهذه الصفةِ أنه أَمْرٌ ظاهرٌ معلومٌ للجميع على عادةِ الشعراءِ إذا مَدَحوا أن يدَّعوا في الأوصاف التي يذكرونَ بها الممدوحِينَ أنها ثابتةٌ لهم وأنَّهم قد شُهروا بها وأنهم لم يَصِفوا إلاّ بالمعلومِ الظاهرِ الذي لا يدفعُه أحدٌ[١]».

ولهذا يقول الرازي عن بداية الآية بـ (إنما): «إشارة إلى أن الإيمان بالآيات كالحاصل، وإنما ينساه البعض فإذا ذكر به خر ساجدا له» [٢].

---

(١) دلائل الإعجاز، لعبد القاهر الجرجاني ص ٣٣٠-٣٣١.

(٢) مفاتيح الغيب، ١٢/ ٥٥٤.

كذلك نستطيع أن نبعد بسياق الآية إلى مطلع السورة ؛ حيث يقول الطاهر بن عاشور عن آية السجدة: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِهَا خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَسَبَّحُوا۟ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴾ الآية [١٥]: استئناف ناشئ عن قوله: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ﴾الآية [٣]، تفرغ المقام له بعد أن أنحى بالتقريع والوعيد للكافرين على كفرهم بلقاء الله، بما أفادت اسمية جملة ﴿ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَـٰفِرُونَ ﴾ الآية [١٠] من أنهم ثابتون على الكفر بلقاء الله دائمون عليه، وهو مما أنذرتهم به آيات القرآن، فالتكذيب بلقاء الله تكذيب بما جاء به القرآن فهم لا يؤمنون، وإنما يؤمن بآيات الله الذين ذكرت أوصافهم هنا(١). فإذا كان أولئك الفريق يقولون بافتراء القرآن فهنا فريق آخر، مؤمن، ابتعد عن دائرة هذه الفرية مراحل عظيمة تمثّلت في أنهم إذا ذُكروا به من أي مذكِّر خروا سجدا لمنزله جل وعلا، ثم إنهم لا يحتاجون لكبير عناء في بلوغهم هذه المرتبة الإيمانية، فبمجرد التذكير يخرون ساجدين، وكأن الآيات راسخة في العقول ؛ فالتذكير وحسب يجعل تلك الأنفس لا تجدد الإيمان بتلك الآيات، ولكن تبادر إلى الخضوع لله تعالى مباشرة.

وهذه حلقات يفضي بعضها لبعض تربط أجزاء السورة الواحدة، وتظهر السياق الذي يأخذ بحجز الآيات ليكون ناظما لها في سلك بياني بديع.

وفي سورة الرعد نجد علاقة خفية بين آية السجدة ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَـٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْـَٔاصَالِ ۩ ﴾[١٥]، ومقاصد السورة الكلية؛ فلقد جاءت الآية في سياق احتدم بذكر قدرة الله جل وعلا، وعظيم سلطانه؛ فهناك رفع السماء بغير عمد، وتسخير الشمس والقمر، ومد الأرض وما جعله فيها من الخيرات، وهو سبحانه يعلم ما تحمل كل أنثى على الإطلاق، وما تغيض الأرحام وما تزداد، وقريبا من الآية ذكر تعالى كيف يظهر قهره سبحانه للرعد فيسبح

(١) التحرير والتنوير، جزء ٢١، ١٠ / ٢٢٧.

بحمده، والصواعق تُرسل بأمره على من يشاء، وهي تعلو الرؤوس ومع ذلك هي موكلة بقوم دون آخرين، أو بإنسان دون آخر.

ومن هذا قهره وقدرته جدير سبحانه بأن يسجد له من في السموات والأرض.

كذلك آية السجدة نفسها فيها بديع خلقه تعالى؛ حيث يسجد الظل، وسجود الظل نابع من إبداع خلق الله جل وعلا المنبئ عن أحقيته تعالى بالسجود؛ «ولو جعل الله الشمس شمسين متقابلتين على السواء لانعدمت الظلال، ولو جعل وجه الأرض شفافا أو لامعا كالماء لم يظهر الظل عليه بيّنا، فهذا من رموز الصنعة التي أوجدها الله وأدقها دقة بديعة» (١).

ثم إن هذه الآية هي الوحيدة من بين آيات السجدة التي فيها السجود الطوعي وحال الإكراه، ولو راجعنا السورة قبل آية السجدة هذه لوجدنا أن السورة تشتمل على ثنائيات متضادة مثل: الله يعلم ما تغيض الأرحام وما تزداد، وهو سبحانه عالم الغيب والشهادة، وسواء لديه من أسر القول ومن جهر به، ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار، وهو سبحانه من يرينا البرق يخافه قوم ويطمع فيه آخرون..، هذا قبل آية السجدة ، وبعدها كذلك استمرت هذه الثنائية مثل قوله تعالى: ﴿... قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ ﴾ [١٦]، وكقوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾[١٩-٢٠] ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [٢٦].

وعلى تلك الشاكلة جاء التضاد بين الطوع والكره، وقد قال أبو حيان بعد أن ساق عددًا من الأقوال في قضية السجود الطوعي والكرهي: «والذي يظهر أنّ مساق هذه الآية إنما هو أنّ العالم كله مقهور لله تعالى، خاضع لما أراد منه، مقصور

---

(١) التحرير والتنوير جزء ١٣، ٧/ ١١١.

على مشيئته، لا يكون منه إلا ما قدر تعالى، فالذين تعبدونهم كائناً ما كانوا داخلون تحت القهر، ويدل على هذا المعنى تشريك الظلال في السجود»[(١)]، وهو على ذلك يحمل (من) الخاصة بالعقلاء على العموم.

وربما وجدنا المقاصد الكلية للسورة تشي ببناء آية السجدة بناء خاصا؛ فسورة مريم تتابع فيها ذكر الأنبياء في سبع وخمسين آية، ثم جاءت آية السجدة ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩﴾[٥٨]، مشيرة لكل ما سبق باسم الإشارة (أولئك) ومركزة مع ذلك على الذرية المؤمنة التي هداها الله واجتباها؛ بدأت السورة بالحديث عن الأنبياء من لدن زكريا إلى إدريس وبينهما: يحيى وعيسى، وإبراهيم، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وهارون، وإسماعيل، عشرة أنبياء توالى ذكرهم حتى أطلت آية السجدة تشير إليهم باسم الإشارة: أولئك. وقد توقف ذكر الأنبياء عند إسماعيل عليه السلام، وتلك كما يقول سيد قطب هي: «المعالم البارزة في صفحة النبوة في تاريخ البشرية ﴿مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ﴾. ﴿وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾. ﴿وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ﴾.فآدم يشمل الجميع، ونوح يشمل من بعده، وإبراهيم يشمل فرعي النبوة الكبيرين: يعقوب يشمل شجرة بني إسرائيل. وإسماعيل وإليه ينتسب العرب ومنهم خاتم النبيين»[(٢)].

ثم إن في السورة إشارات متعددة تتحدث عن الذرية الصالحة سواء من خلال دعاء زكريا: ﴿كهيعص ﴿١﴾ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۖ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾﴾.

---

(١) البحر المحيط ٦ / ٣٦٥.

(٢) في ظلال القرآن، سيد قطب ٤/ ٢٣١٤.

أو من خلال ذكر حمل وولادة المسيح عليه السلام، أو من خلال اعتزال إبراهيم عليه السلام لأبيه وقومه لما أصروا على ضلالهم فكانت العطية من الله جل وعلا له: ﴿ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا (٤٩) وَوَهَبْنَا لَهُم مِّن رَّحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا (٥٠) ﴾.

فعندما تأتي الذرية في آية السجدة يكون ذلك أمرا متساوقا مع سياقها في السورة.

ونجد الأمر في آية الحج الأولى: ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ۩ (١٨) ﴾، يرتبط بسياق قريب، وآخر بعيد؛ فسياقها القريب أنها قد وقعت بين «آيتين سابقة عليها ولاحقة لها، وكلتا الآيتين تنصان على افتراق البشر في مجال الطاعة والإيمان، أما هي فقد نصت على أن جميع المخلوقات – غير الإنسان – اجتمعت على الانقياد لله»[(١)].

أما سياقها الأبعد فقد قال البقاعي: «ولما كان جميع ما تقدم في هذه السورة دالاً على أنه على كل شيء قدير، وأنه يفعل ما يريد، وختم ذلك بأنه بكل شيء عليم لم يغب ولا يغيب شيء عنه، فاقتضى ذلك قيوميته، وكان بحيث يستعظم لكثرة الخلائق فكيف بأحوالهم، قرر ذلك في جواب من كأنه سأل فهي في معنى العلة»[(٢)].

و لو فتشنا عما يقوله البقاعي في السورة لرأيناه مصيبًا فيما قال؛ فأنت تجد التحذير من الساعة ولم تُبن الآية على التأكيد لقيامها ولكن على التحذير منها، وكأن قيامها من المسلمات وهذا فرط القدرة له جل وعلا، وتجد سلسلة خلق الإنسان منذ أن كان نطفة حتى يصبح في أرذل العمر، وكذلك تجد الآية تلو الآية الدالة على الإحياء بعد الموت، والعذاب الذي ينتظر أهله.

(١) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم، د. عبد العظيم المطعني ٢/ ٣٩٠.

(٢) نظم الدرر ٦/ ٥٧.

ولا شك أن هذه الأفعال دليل على قدرته جل وعلا و قيوميته.

ثم قبل آية السجدة آيات متعددة تتحدث عن الإنسان الذي تنكب طريق الهداية وأخذ يجادل في الله بغير علم، ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيۡطَٰنٖ مَّرِيدٖ ﴿٣﴾ كُتِبَ عَلَيۡهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهۡدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾.

ويقول تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ﴿٨﴾ ثَانِيَ عِطۡفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۖ لَهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَنُذِيقُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ يَدَاكَ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدۡعُواْ لَمَن ضَرُّهُۥٓ أَقۡرَبُ مِن نَّفۡعِهِۦۚ لَبِئۡسَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَلَبِئۡسَ ٱلۡعَشِيرُ ﴿١٣﴾ ﴾.

آيات متتالية تظهر كيف تنكب بعض البشر طريق الهداية، وتكبروا وجادلوا في الله بغير علم، واتخذوا الدين صفقات تجارية إن ربحت فبها ونعمت وإلا انقلب على عقبيه.

يقول سيد قطب عن مجيء هذه الآيات في خضم عرض أهوال يوم القيامة: «في ظل هذا الهول المروع يذكر أن هنالك من يتطاول فيجادل في الله، ولا يستشعر تقواه... والجدال في الله، سواء في وجوده تعالى، أو في وحدانيته، أو في قدرته، أو في علمه، أو في صفة ما من صفاته.. الجدال في شيء من هذا في ظل ذلك الهول الذي ينتظر الناس جميعاً، والذي لا نجاة منه إلا بتقوى الله وبرضاه.. ذلك الجدال يبدو عجيباً من ذي عقل وقلب، لا يتقي شر ذلك الهول المزلزل المجتاح»[(١)].

وإذا كان هناك من لا يتقي الله جل وعلا في خضم تلك المشاهد المروعة لذلك اليوم العظيم فإن هناك فئات من الخلق لا حدود لها أسلمت، وانقادت انقياد تذلل

---

(١) في ظلال القرآن ٤/ ٢٤٠٨.

وخضوع، أفضى بها للسجود له تعالى: «ويتدبر القلب هذا النص، فإذا حشد من الخلائق مما يدرك الإنسان ومما لا يدرك. وإذا حشد من الأفلاك والأجرام. مما يعلم الإنسان ومما لا يعلم. وإذا حشد من الجبال، والشجر، والدواب في هذه الأرض التي يعيش عليها الإنسان.. إذا بتلك الحشود كلها في موكب خاشع تسجد كلها لله، وتتجه إليه وحده دون سواه. تتجه إليه وحده في وحدة و اتساق. إلا ذلك الإنسان فهو وحده الذي يتفرق: ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيۡهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الحج: ١٨] فيبدو هذا الإنسان عجيباً في ذلك الموكب المتناسق» [(١)].

و لهذا حمل الطاهر بن عاشور هذه الآية على آية رقم [١٢] وهي قوله تعالى: ﴿يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُۥ وَمَا لَا يَنفَعُهُۥۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلۡبَعِيدُ﴾، وقال بأن ما بينهما استطراد و اعتراض[(٢)]، فإذا كان هناك من يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه فإن الكون كله- بما عدد الله تعالى من مخلوقات تنتظم السموات والأرض وما فيهما – الكون كله ساجد موحد له تعالى، ومما يدعم هذه الحقيقة الاستفهام في أول الآية ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ وهي رؤية من كل من يستطيع الرؤية، فلا تخص واحدا دون آخر، وهذا العموم يدل على وضوح هذا الأمر، وانكشافه لكل أحد، ولن يجد أحد إجابة تصادمه.

ب/ لفظ الجلالة والصفات في آيات السجدة:

عندما نتظر في السياق العام للسور التي وردت فيها آيات السجدة نجد ذلك السياق مشتملا على وجود بعض الأسماء أو الصفات لله جل وعلا وقد تصدّرت تلك الآيات، وهي مزاوجة بين اسم الذات العليّة (الله) أو صفة الربوبية، أو صفة الرحمن، فالسياق العام يفرض اسما بدل صفة، وصفةً بدل أخرى؛ حيث نجد كثرة ورود الاسم أو الصفة هي التي تحتم وجودها في آية السجدة؛ بالإضافة إلى معاني

(١) السابق ٤/ ٢٤١٤.

(٢) التحرير والتنوير، جزء ١٧، ٨/ ٢٢٦.

دقيقة تختص بها ضمن كل آية؛ ففي سورة النحل ورد لفظ الجلالة فيما يزيد على ثمانين آية، وهذا يعني أكثر من ثلثي السورة التي تبلغ آياتها مائة وثمان وعشرين آية، وعليه جاءت آية السجدة فيها مبدوءة بلفظ الجلالـة: ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۩ ﴿٥٠﴾ ﴾.

كان مطلع السورة يتحدث عن تسخير أنواع كثيرة جدا من المخلوقات، وقد تتابعت ست عشرة آية تذكر ذلك التسخير من مثل: خلق الأنعام، لمنافع كثيرة، وخلق الخيل، والبغال، والحمير للركوب والزينة، وإنزال الغيث، وما فيه من الخيرات، وإنبات الثمار المأكولة، وتسخير الليل، والنهار، والشمس والقمر، وتسخير البحر وما فيه من الخيرات..الخ الآيات من [٣-١٦].

وكانت جل الآيات تربط تلك المنن بالناس؛ حيث تكررت العلة من خلق وتسخير تلك المخلوقات وأنها مربوطة بالإنسان في ما يقرب من عشرة مواضع، ولا شك أن ذلك تمهيد بديع، ومنطقي أن من خلق هذا الخلق الذي منته على الناس ظاهرة حقيق بالسجود له، وهو سجود ينتظم كل الخلائق أخذا من العموم الموجود في الآية، سواء كان عموما لغويا مثل إيثار (ما) الموصولة على (من) مثلا، أو كان عموما من جهة أخرى؛ فنحن لم نر شيئا مما يدب في السماء، ورأينا بعض ما يدب في الأرض، وبعضه عنا خفي، وعليه فنحن نقيس ما يدب في السماء على ما يدب في الأرض عددا مما نعرف ومما نجهل، وإن كان الزمخشري قد فصل كثيرا في قوله تعالى: ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ ورأى أنها قد تكون بيانا لما سبقها مباشرة أو لما في الأرض أو لهما معا.. فقال: «﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ يجوز أن يكون بياناً لما في السموات وما في الأرض جميعاً، على أنّ في السموات خلقاً لله يدبون فيها كما يدب الأناسي في الأرض، وأن يكون بياناً لما في الأرض وحده، ويراد بما في السموات: الخلق الذي يقال له الروح، وأن يكون بياناً لما في الأرض وحده، ويراد بما في السموات: الملائكة وكرّر ذكرهم

على معنى: والملائكة خصوصاً من بين الساجدين؛ لأنهم أطوع الخلق وأعبدهم. ويجوز أن يراد بها في السموات: ملائكتهنّ. وبقوله والملائكة: ملائكة الأرض من الحفظة وغيرهم »[1].

و في سورة الرعد جاءت آية السجدة مصدرة بلفظ الجلالة: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا كَبَٰسِطِ .. ﴾، وإذا بحثنا عن هذا الاسم الجليل وجدناه بارز الحضور في السورة كلها؛ حيث تكرر في أكثر من أربع وعشرين آية[2] من ثلاث وأربعين آية هي عدد آيات السورة، أي أكثر من خمسين في المائة، بل إنه قد تكرر قبل آية السجدة ست مرات، بينما جاء لفظ الربوبية في مطلع السورة، وتوالى أيضا ست مرات، ثم إن الآيات التي جاءت قبل آية السجدة مباشرة كلها تشي بالألوهية الحقة المتفردة بأدق خفايا الخلق يقول تعالى: ﴿ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ ۖ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَالٍ ﴿١١﴾ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ ﴿١٣﴾ ﴾.

وقد ذكر ابن عاشور أن الآية قد بدئت بلفظ الجلالة (الله) بدل الضمير «تبعا للأسلوب السابق في افتتاح الأغراض الأصلية»[3]، وهو يقصد بذلك أن السورة

---

(١) الكشاف، للزمخشري ٢/ ٤١٢.
(٢) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مادة (اله).
(٣) التحرير والتنوير، جزء ١٣، ٧/ ١١١.

اشتملت على آيات كانت فواتح أغراض مثل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ... ﴾، وكقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ.. ﴾، وآية السجدة تحمل هذا الزخم لغرض أصلي وهو استحقاق الله جل وعلا للسجود على كل الأحوال بعد أن أشارت الآيات السابقة إلى مطلق قهره وقدرته تعالى، بينما جاءت آيات أخرى فُرِّعت على هذه الآيات التي تحمل تلك الأغراض، ولهذا جاءت دون البدء بلفظ الجلالة بل بالضمير، انظر قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾﴾.

وهكذا الأمر في سورة الحج حيث تكرر هذا الاسم العلي خمسا وسبعين مرة، بينما لم يأت لفظ الربوبية إلا في ثمان مواضع(١)، ولهذا جاءت آية السجدة مصدرة بلفظ الجلالة: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾.

فهذه الآية هي الوحيدة بين آيات السجدة التي فيها هذا التعداد الكبير للساجدين ، «وهي من أظهر آيات تمجيد الله في القرآن...فقد عددت في تفصيل حكيم أن الكون كله منقاد لله عز وجل، وكل مخلوقاته تسجد له، وتعبده، سجودا مناسبا لها» (٢).

وربما وجدنا أنه مع كثرة ورود لفظ الجلالة (الله) موازنة مع صفة (الربوبية) إلا أن الأخيرة هي التي تأتي ضمن آية السجدة، وذلك في سورة واحدة وهي سورة الأعراف، ولاشك أن هذا الورود له مبرراته البلاغية ؛ يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾، فقد تكرر لفظ الجلالة

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة/ اله، وربب.

(٢) التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم ٢/ ٣٩٠.

(الله) ستين مرة، بينما جاء لفظ الربوبية في خمسين موضعا [1]، وهي أعداد جد متقاربة، إلا أن علوق لفظ الربوبية بالآيات، وتكراره في بدء السورة جاء من خلفية أن مطلع السورة فيه عناية وحفظ من الله جل وعلا لعباده؛ حيث المنة العظيمة بإنزال الكتاب، وكيف أهلكت الأمم، ووضع الميزان الحق، فهناك من ثقلت موازينه، وهناك من خفت موازينه، ولاشك أن لفظ الربوبية متساوق ذكره مع هذه المعاني، ثم يأتي الخلق وهو من أخص خصائص الربوبية، ثم تأتي العناية الربانية بابن آدم حيث حذره تعالى من عدوه اللدود إبليس، وكيف أظهر لابن آدم هذه العداوة حتى لا تلتبس،... هذه سياقات لفظ الربوبية في مطلع السورة، وفي خاتمتها نجد كذلك أن لفظ الربوبية تكرر قبل آية السجدة ثلاث مرات، ولو دققنا قليلا في سياقه هنا لرأينا أن منة القرآن الكريم والوحي ظاهرة عيانا بيانا هنا، يقول تعالى: ﴿ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا ۚ قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي ۚ هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ ﴾.

فالخطاب هنا للرسول ﷺ، والربوبية تناسب ذكر الله جل وعلا في كل آن وحين؛ حيث هي الصفة الظاهرة التي تحيط بالإنسان في خلقه ورزقه، فكما أن ذلك كذلك فكذلك ذكر الله جل وعلا يجب أن يكون ملازما للإنسان.

ومن الصفات التي كثرت في السورة فجاءت في آيات السجدة صفة (الرحمن) ففي سورة مريم قال تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا ۚ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ۩ ﴿٥٨﴾ ﴾، وأول ورود لهذه الصفة العلية في قوله تعالى على لسان مريم: ﴿ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ ﴾، وإذا رجعنا قليلا للسورة فإننا نجد

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم مادة (الله) ومادة (ربب).

هذه الصفة تتكرر كثيرا فيها حيث بلغت ست عشرة مرة[١]، بالإضافة إلى أن الله جل وعلا قد امتنّ على جميع الأنبياء الذين ذكرهم في هذه السورة قبل الآية بعظيم المنن؛ حيث الرفعة، والاختصاص بالنبوة، والاصطفاء، وكل ذلك من رحمته تعالى بهم، فلا شك أن صفة الرحمن التي أضيفت إليها الآيات هي الأنسب والأليط بالسياق. بل إننا نجد أن مفهوم الرحمة عموما شائع في هذه السورة ؛ فمثلا: رحمته تعالى في مطلع السورة بزكريا عليه السلام: ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾، حينما تضرّع إليه بطلب الولد، ورحمته تعالى بيحيى نفسه إذ جعله نبيا، ورحمته تعالى بمريم والنفخ فيها بغلام: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾ وذلك بعد أن عاذت هي بالرحمن: ﴿قَالَتْ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ۝١٨﴾، ثم نجد الرحمة شائعة في دعوة إبراهيم عليه السلام لأبيه، وحينما اعتزله وقومَه رحمه الله تعالى ورزقه الولد على الكبر﴿ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۖ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾.

وفي سورة الفرقان نجد نفس الصفة العلية له سبحانه ضمن آية السجدة، وقد وردت في السورة خمس مرات، ومنها تحديدا أربع مرات قبل وأثناء وبعد آية السجدة يقول تعالى: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٨ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ۝٥٩ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا۟ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ ۝٦٠ تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ۝٦١ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ۝٦٢ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۝٦٣﴾.

وهذه الصفة له سبحانه جاءت في خضم آيات عظيمة نقلت أباطيل المشركين من اتخاذ الشريك مع الله جل وعلا، وعبادة الأصنام، واتهام الرسول الكريم بأن الذي يتلى عليه أساطير الأولين، وأن الرسول لم ينزل معه ملك يؤيده، وهو يمشي

---

(١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، مادة رحم.

في الأسواق، ويأكل الطعام، بل طلبوا أكبر من ذلك أن تنزل عليهم الملائكة، وبالغوا في تكبرهم حينما قالوا ﴿أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا...﴾ إلخ، ومع هذا التكبر والجبروت والإيغال في الكفر واستحقاق العذاب إلا أن الله جل وعلا قال في ختام أباطيلهم العظيمة: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾ ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ ۚ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾، وهذا أول ورود لهذه الصفة العلية، وهي في هذا السياق لفظة تطمين، وتسلية لعباد الله جل وعلا في هذا الجو العظيم من ذكر أباطيل الكفار في حقه تعالى، وحق نبيه، وحق قرآنه بأنه سيكون رحيما بعباده في ذلك اليوم، الذي يعسر ويصعب على الكافرين، قال الألوسي: «وإيراده تعالى بعنوان الرحمانية للإيذان بأن اتصافه عز وجل بغاية الرحمة لا يهون الخطب على الكفرة المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ أي وكان ذلك اليوم – مع كون الملك فيه لله تعالى المبالغ في الرحمة بعباده – شديداً على الكافرين» [1].

بل إن آية السجدة هنا وما فيها من صفة الرحمة المتكررة هي التي فتحت الحديث حتى نهاية السورة؛ حيث كانت آية السجدة حاثة على الانقياد والخضوع لله تعالى بأقوى ما يعبر عن ذلك كله وهو السجود له سبحانه، وحينما تهكم المتهكمون وسخروا كان لابد من بيان الفريق الآخر وهو الفريق المؤمن الذي ينقاد لله سبحانه، وأضافهم سبحانه لصفته العليّة (عباد الرحمن) أما الفريق الآخر فكما يقول البقاعي: «ولما ذكر عباده الذين خذلهم بتسليط الشيطان عليهم فصاروا حزب الشيطان، ولم يضفهم إلى اسم من أسمائه، إيذاناً بإهانتهم لهوانهم عنده، وهم الذين صرح بهم قوله أول السورة ﴿نَذِيرًا﴾ وختم بالتذكر والشكر إشارة إلى عباده الذين أخلصهم لنفسه، وأشار إليهم سابقاً بتخصيص الوصف بالفرقان، فأتبع

(١) روح المعاني للألوسي ١٩/ ١١.

ذلك ذكرهم، فقال عاطفاً على جملة الكلام في قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ﴾»[١]. بينما شرّف عباده الخلّص بهذه الصفة العليّة، وهذا فارق سياقي بديع وذلك باختيار الصياغات والتراكيب التي توحي بالمراد إيحاءً.

وقد ذكر الطاهر بن عاشور أن هذه السورة تقوم على دعائم ثلاث، وذكر منها الدعامة الثالثة وهي التي تأتي عقب آية السجدة مبدوءة بقوله تعالى ﴿ تَبَارَكَ ﴾ فقال: «الدعامة الثالثة: الاستدلال على وحدانية الله، وتفرده بالخلق، وتنزيهه عن أن يكون له ولد أو شريك، وإبطال إلاهية الأصنام، وإبطال ما زعموه من بُنوة الملائكة لله تعالى»[٢]، ولا يوجد ضمن هذه الصفات الثمان لعباد الرحمن حديث عن البنوّة المزعومة لله تعالى، ومع ذلك فكل هذه الصفات كانت ضمن ذكر الفريق الآخر الذي آمن بالله وخضع له في مقابل الفريق الذي نفر واستكبر ولم يسجد لله.

ومن الإشارات التي تدل على أن هذه الآيات عاطفة النظر لآية السجدة السابقة ما ذكره الله جل وعلا في قوله أولا: ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾، وغيرهم تُرك دون إضافة، وثانيا قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا ﴿٦٤﴾ ﴾، وهي واضحة في الدلالة على خضوع هذا الفريق عندما نفر الفريق الآخر واستكبر.

وثالثا: قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّواْ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾ ﴾ بل خروا سجدا وسبحوا بحمد ربهم كما في سورة السجدة: ﴿ إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۩ ﴿١٥﴾ ﴾.

(١) نظم الدرر ٦/ ٣٣٤.

(٢) التحرير والتنوير ٩ / ٣١٤.

المبحث الرابع

الخصائص الأسلوبية لآيات السجدة

من خلال تتبع آيات السجدة التي وقفنا عندها نجد خصائص أسلوبية فيها تدعم بيان القرآن الكريم، وتظهر مدى انسجامه مع فحوى الآية الدالة، أو الآمرة بالسجود؛ ففي آية الأعراف يقول تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾.

يظهر التأكيد في أول الآية مقدار الاحتفاء بهؤلاء الملأ الذين أخبتوا لله تعالى، ولم يستكبروا عن عبادته، وقدسوه تعالى، وسجدوا له، يقول الطاهر بن عاشور عن التوكيد إنه: «لمجرد الاهتمام بالخبر لا لرد تردد أو إنكار لأن المخاطب منزه عن أن يتردد في خبر الله تعالى»(١).

كما أن التأكيد فيها يتلاقى مع التأكيد قبلها في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾﴾، فكما جاء التأكيد على أن المتقين يعودون إلى الله تعالى سريعا فيبصرون طريقهم، فكذا شأن الذين عنده جل وعلا لا يستكبرون عن عبادته، بل يسبحونه، ويسجدون له، فسرعة الامتثال ظاهرة في كل من المتقين والذين عند الله في آية السجدة.

أما العطفُ في هذه الآية فهو يظهر كل خصلة من هذه الخصال قائمة برأسها أخذا بالتغاير الموجود في العطف بالواو، ثم تظهر المناسبة بين هذه الجمل؛ فالذين لا يستكبرون عن عبادة الله ينزهونه ويقدسونه تعالى، ثم تكون الخاصية التي يفضي إليها ذلك كله هي السجود، بل سجود لا يكون لغيره تعالى «يختصونه بالعبادة، لا يشركون به غيره»(٢).

---

(١) نفس المصدر، جزء ٩، ٥/ ٢٤٣.

(٢) الكشاف ٢/ ١٤٠.

وفي سورة مريم يقول البقاعي عن العطف في قوله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا﴾ في آية السجدة : «وعطف الأوصاف بالواو إشارة إلى التمكن فيها»[١]، وفي نفس السورة يقول عن قوله تعالى: ﴿خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ «فوصفهم بسرعة الخشوع من ذكر الله الناشئ عن دوام الخضوع و الناشئ عنه الإسراع بالسجود في حالة البكاء، وجعلهما حالتين بالعطف بالواو لعراقة المتحلي بهما في كل منهما على انفراده» [٢].

أما الأفعال التي جاءت في آيات السجدة فهي الفعل الماضي، والأكثرية للمضارع، ولها شأن عظيم في بيان القرآن الكريم في هذه الآيات؛ فخاصية الفعل عموما هي التجدد والحدوث، أما المضارع ففيه تصوير الأحداث أمام من يقرأ هذه الآيات في كل آن وحين، وفي تصوير حدث السجود، أو ما يصاحبه من البكاء والتسبيح و الخرور...الخ أمام من يقرأ هذه الآيات حث من خلال الصياغة خفي على هذا العمل الشريف الذي يرفع صاحبه، ويزكي نفسه، إضافة لما في الفعل المضارع من دلالة على التجدد والحدوث، ولا شك أن ذلك ديدن المؤمنين في كل وقت ، يتجدد منهم الخضوع، والسجود، والبكاء له جل وعلا.

جاء الفعل المضارع في آية الأعراف، والرعد، والنحل، والإسراء، ومريم، والحج.

أما في سورة الإسراء فقد تكررت الأفعال المضارعة في الآية ست مرات: (يتلى، يخرون، ويقولون، ويخرون، يبكون، ويزيدهم) وقد لمس الألوسي في تفسيره شيئا من فقه أحد هذه الأفعال وهو: (يبكون) قال: «ولما كان البكاء ناشئاً من الخشية، الناشئة من التفكر، الذي يتجدد جيء بالجملة الفعلية المفيدة للتجدد» [٣]، وقال

(١) نظم الدرر ٤/ ٥٥٤.

(٢) السابق ٤/ ٥٥٥.

(٣) روح المعاني ١٥/ ١٩٠.

البقاعي: «وعبر في البكاء بالفعل إشارة إلى تجدده في بعض الأحيان لما لهم في بعضها من السرور ببعض ما أبيح من الملاذ» [(١)].

وهذا يعني أن التعبير بالاسم في مثل هذه السياقات له دلالة مغايرة لمسها البقاعي حين رأى أن بعض التلذذ بالمباحات يمنع من ديمومة البكاء، وهو ما وجدناه مثلا في سورة مريم؛ حيث يقول جل علا:﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ فجاء البكاء بالاسم لا بالفعل، وإذا بحثنا عن الفرق بين الآيتين فإن عيّنة الساجدين هنا هم الأنبياء، وصفوة الخلق، بينما هم في سورة الإسراء مثلا ليسوا هم أولئك، فإضافة لما لاحظه البقاعي فإن البشر يعتريهم بعض الفتور، وتغشاهم غاشية الشهوات المفضية لشيء من النسيان، ثم تؤوب إليهم نفوسهم المتعلقة بالله تعالى، وخشيته فتكون العودة للتذلل والخضوع له جل وعلا. وهو أمر وجدناه في سورة السجدة حيث جاءت صياغات فعلية (خروا، وسبحوا، لا يستكبرون) ضمن آية السجدة وذلك لعيّنة الساجدين التي تعتريها غاشية من الفتور والضعف ثم تؤوب إليها التقوى المفضية للتذلل حيث السجود له سبحانه ؛ فناسب مجيء الفعل معها، بينما ناسب مجيء الاسم مع صفوة الخلق، وكملتهم.

ولكن البقاعي في سورة مريم لاحظ أن حال الأنبياء مع قومهم لا يناسبه ما قال من ديمومة البكاء التي هي دلالة الاسمية والتي قال عنها: «وعبر بالاسم في كل من السجود والبكاء، إشارة إلى أن خوفهم دائم كما أن خضوعهم دائم لعظمة الكبير الجليل، لأن تلك الحضرة لا تغيب عنهم أصلاً » [(٢)]، فليس حال الأنبياء هو البكاء الدائم مع قومهم فقال معللا ذلك: «وإن حصل غير البكاء فللتأنيس لمن أرسلوا إليه ليوصلوه إلى قريب من رتبتهم بحسن عشرتهم على تفاوت المراتب، وتباين المطالب» [(٣)].

---

(١) نظم الدرر ٤/ ٤٣٧.

(٢) نفس المصدر ٤/ ٥٤٥.

(٣) السابق نفس الصفحة

وفي هاتين السورتين: الإسراء ومريم مع سورة السجدة جاء لفظ السجود ذاته مصدرا، وقد ذكر البقاعي الديمومة التي تنشر رواقها على الساجدين[1]، ولكننا مع ذلك نلاحظ أنه لا يمكن أن يأتي فعل يُعرب حالا كهذين الحالين ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ يدل على أنهم يسجدون بعد أن (يخرون)؛ لأن الخرور هو السقوط من أعلى، والسقوط من أعلى يكون سريعا، فلا يناسبه حينئذ الفعل (يسجدون) لو جاء؛ لأن الفعل فيه خاصية التجدد والحدوث، وهو ينافي السرعة التي أرادتها الآية، فجاء المصدر بعد الفعل في هذه الآية وكذا في سورة مريم والسجدة. وهي أحوال تشير إلى تلبسهم بها دفعة واحدة، وما يعضد ذلك أنه في سورة الإسراء قال تعالى: ﴿ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ فجاء الحال هنا فعلا مضارعا؛ لأن البكاء على هذه الحال أثناء الخرور ممكن بخلاف السجود - لو كان فعلا - حال الخرور.

كذلك ترتبط هذه السور الثلاث بمجيء لفظ الخرور فيها ، ففي الإسراء:﴿قُلْ ءَامِنُواْ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓاْ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ ﴾ ، وفي سورة مريم ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَبُكِيًّا ﴾ وفي سورة السجدة ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ﴾ وإذا بحثنا عن رابط بين هذه السور الثلاث التي انفردت بذكر الخرور مع السجود، والذي صاحبه بكاء في سورتي الإسراء ومريم نجد أن هذه الآيات الثلاث في هذه السور ركزت النظر ناحية صنف من الساجدين لا يحتاجون إلا أن تتلى عليهم آيات الرحمن فتؤثر فيهم تأثيرا عظيما يقعون بسببه إلى الأرض ساجدين؛ حيث نلاحظ أن الأفعال الدالة على تلاوة القرآن جاءت مبنية للمجهول: (إذا تُتلى، إذا يُتلى، إذا ذُكروا بها)، وهي تحمل نفس الزخم الجمالي؛ حيث إن آيات الله لها وقع عظيم من أي مذكِّر يذكر بها أو يتلوها، مع ملاحظة تعدي التأثير للآخرين، حيث

---

(١) نفس المصدر ٤/ ٤٣٧ بتصرف.

لم ينظر للمذكِّر أو التالي فحذف، وفي ذلك إشارة إلى أن من يتلو القرآن ربما كان غافلا، أو شارد الذهن، أو متخذ القراءة حرفة...إلخ، ولكن لا يمكن أن يغفل كل المستمعين، وتشرد أذهان كل المنصتين للقرآن، بل ربما أثّر القرآن في غير المسلمين وربما أثّر سماعه في غير العارفين بلغته الشريفة.

ولو قيِّد استماع القرآن، أو قيِّدت قراءته بقارئ دون آخر لكان في ذلك عنت وأي عنت، والآية الصريحة في استماع القرآن وهي قوله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ ﴾صريحة باستماع القراءة للقرآن الكريم من أي تال يتلوه، فتأثيره على الآخرين قطعا لن يتأثر بمن يتلوه، بل بحسن إنصات من يستمع له، وبحضور قلبه، وهذا البناء للفعل هو الذي جعل الخرور يأتي مع هذه العينة التي لا تحتاج لكبير تذكير حتى تعود لرشدها، بل إن أي مذكر بالقرآن يفضي إلى هز تلك القلوب الخاشعة فتبادر للخضوع، والخرور ساجدة وباكية.

وقد وقف العلماء عند الخرور على الأذقان، وحمله بعضهم على حقيقته؛ حيث ذكر الزمخشري أن أول ما يلقى الإنسان به الأرض حال سجوده هو الذقن[1] بينما أضاف أبو حيان الأندلسي رأيا آخر وهو الأقرب من دلالة الآية فقال: «والسجود وهو وضع الجبهة على الأرض هو غاية الخرور ونهاية الخضوع، وأول ما يلقى الأرض حالة السجود الذقن، أو عبر عن الوجوه بالأذقان كما يعبر عن كل شيء ببعض ما يلاقيه»[2].

بينما لمس الشهاب في حاشيته على البيضاوي جانبا آخر، وهو أن الأذقان تأتي مع الخرور في غير السجود وأورد بيتا من الشعر:

فخروا لأذقان الوجوه تنوشهم سباعٌ من الطير العوادي وتنتف

(١) الكشاف ٢/ ٤٦٩.

(٢) البحر المحيط ٧/ ١٢٥.

وقال بأن الأمر إما أن يكون على الحقيقة فيكون أول مقابل الأرض من الساقط الساجد هو الذقن وليس بمعنى الإلصاق، وإما أن يكون على التمثيل والكناية مبالغة في تحامل الساجد على إلصاق ذقنه بالأرض[1].

إذن لدينا ثلاثة آراء: واحد يحمل الأمر على الحقيقة فيكون المعنى على مقابلة الذقن للأرض حال أول السجود، والآخر على المجاز المرسل حيث عُبِّر بالجزء وهو الذقن عن الكل وهي الوجوه ، والرأي الثالث هو رأي الشهاب وهو حمله الآية على المبالغة كنايةً لبيان شدة الساجد في خضوعه لله جل وعلا، أو تمثيلا؛ حيث تستعار هيئة من يلصق ذقنه بالأرض حال سجوده لهيئة المتذلل لله الساجد المبالغ في سجوده.

وإنما خصت الذقن بالذكر لأنها على استقامة واحدة مع الجبهة والأنف، فيكون الوجه كله ساجدا، وذلك مبالغة في الخضوع، وإلا فإن حمل الآية على الحقيقة لتصل الذقن سواء كانت مجمع اللحيين حقيقة، أو الشَّعر الذي عليهما مجازا سيؤدي إلى التكلف في قضية السجود، وسيؤدي ذلك إلى رفع الجبهة عن الأرض، ثم ليس كل الناس لديه لحية، ولا يختص الخضوع لله تعالى، والتذلل له عند عمر معيّن، فيكون حمل الآية على المجاز المرسل لعلاقة الجزئية، أو الكناية، أو الاستعارة التمثيلية، وإن كان الأولى حملها على الكناية، ثم على الاستعارة التمثيلية؛ لأن ذلك أليق بالسياق، وأبر بحق البيان القرآني.

ثم إن لام الاختصاص التي جاءت مع الأذقان تؤيد هذا الرأي وتعضده؛ حيث قال الزمخشري: «فإن قلت: حرف الاستعلاء ظاهر المعنى إذا قلت: خرّ على وجهه وعلى ذقنه، فما معنى اللام في خرّ لذقنه ولوجهه؟ قال: ... قلت: معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به ؛ لأن اللام للاختصاص»[2].

---

(١) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٦/ ٦٨ بتصرف.

(٢) الكشاف ٢/ ٤٦٩.

فلام الاختصاص جعلت الذقن تلزم هذه الحال، و هذا الاختصاص يشير إلى «أن الساقط على وجهه، والخار على ذقنه اضطرارا لا يفرق بين عضو يقدمه أو يؤخره، ولا اختيار له في كيفية استقبال الأرض، فهو ينكب عليها بلا وعي» [(١)].

فكأن الخرور للذقن يوحي بمقدار الخضوع، والخشية التي تسيطر على الخار حتى لا يلقي بالا لأي عضو سبقه إلى الأرض، وإن كان من لوازمه أن لا يصل إليها، أو إن «الإنسان مجبول بالطبع على صيانة وجهه، فهو يرفع رأسه فتصير ذقنه وفمه أقرب ما في وجهه إلى الأرض حال السقوط» [(٢)].

وفي سورة الفرقان جاء الاستفهام المحكي على ألسنة المعاندين ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُواْ لِلرَّحْمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا ۩ (٦٠)﴾وهو يعضد سياق الآية ضمن السورة ؛ فقد ذكر الألوسي الآراء التي تحتمل هذا التساؤل فقال: «والسؤال يحتمل أن يكون عن المسمى ووقع بـ(ما) دون (من) لأنه مجهول بزعمهم فهو كما يقال للشبح المرئي: ما هو؟ فإذا عرف أنه من ذوي العلم قيل من هو، ويحتمل أن يكون عن معنى الاسم، ووقوعه بـ(ما) حينئذ ظاهر. وقيل: «سألوا عن ذلك لأنهم ما كانوا يطلقونه على الله تعالى كما يطلقون الرحيم و الرحوم والراحم عليه تعالى، أو لأنهم ظنوا أن المراد به غيره عز وجل ؛ فقد شاع فيما بينهم تسمية مسيلمة برحمن اليمامة فظنوا أنه المراد بحمل التعريف على العهد. وقيل: «لأنه كان عبرانياً وأصله رخمان بالخاء المعجمة فعرِّب ولم يسمعوه » [(٣)].

ومع تعداده لهذه الآراء إلا أنه قال: «والأظهر عندي أن ذلك عن تجاهل، وأن السؤال عن المسمى» [(٤)]. ويوضح البقاعي هذا التهكم بقوله عنهم: «متجاهلين عن معرفته فضلاً عن كفر نعمته معبرين بأداة ما لا يعقل » [(٥)].

---

(١) من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم، د. محمد الأمين الخضري ص ٢٤٤.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور ٤/ ٤٣٦.
(٣) روح المعاني ٩/ ٣٩.
(٤) السابق، نفس المكان.
(٥) نظم الدرر ٥/ ٣٣٢.

وهذا هو الأليق بالسياق هنا؛ فهم يتهكمون بهذه الصفة الجليلة، ويؤيد هذا أنهم كرروه مرة أخرى حينما قالوا: ﴿أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا﴾ فأتوا باسم الموصول (ما) بدل (من) للعاقل.

فأعرض الله جل وعلا عن سخريتهم وأثنى على نفسه من خلال بيان عظم مخلوقاته التي «لو تفكروا فيه لعرفوا وجوب السجود والعبادة للرحمن»[1] فقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

وهذا الإعراض منه جل وعلا يناسب تجاهلهم حينما أمروا بالسجود؛ فإذا كانوا يتجاهلون هذا الاسم أو الصفة له جل وعلا وهي رحمة ظهرت بوادرها في الآيات التي سبقت آية السجدة فقد أخذ الكلام منحى آخر ببيان الثناء عليه سبحانه فقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ أي تقدس وتنزه عن كل نقص، وهي إشارة ببلوغه تعالى الكمال المطلق المنافي لأي شائبة نقص بدت في نفورهم حينما أمروا بالسجود. أ.هـ.

---

(١) التفسير الكبير ١٢/ ٨٢.

النتائج العلمية

ظهرت في نهاية البحث بعض الظواهر الأسلوبية، والتي تمثّل نتائج بحثية، ومن أهمها:

١- دقة البيان القرآني من أي جهة بيانية أتيته؛ فلو نظر الدارس البلاغي للقرآن الكريم من جهة ألفاظه لوجد إعجازاً، ولو نظر إليه من خلال دقة استثماره للحروف أيا كان نوعها لوجد إعجازاً، وكذا لو وقف أمام السياق الذي يمثل إطارا أشمل لرأى عجبا.

٢- وجدنا كيف أثّرت المقاصد الكلية للسور التي وقفنا عندها في بناء آيات السجدة؛ فوجود الذرية في سورة مريم ووجود الأنبياء بكثرة قبل آية السجدة أفضى لبناء مقصود لآية السجدة نفسها تضمن ذكر الذرية، وتضمن الإشارة لكل الأنبياء، والصفوة الذين سبقوا الآية في سبع وخمسين آية. وفي سورة الأعراف نجد لفظ (التكبر) قد شاع فيها في اثنتي عشرة آية، وذكر ت فيها قصة إبليس وهي منبع الكِبْر وأسه، فإذا بآية السجدة في نهاية السورة ترنو إلى كل ذلك، ويأتي فيها لفظ التكبر مقدّما ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ بينما لم يأت هذا اللفظ مقدما في سورة النحل، وسورة السجدة؛ لأنه في الأولى لم يُذكر إلا أربع مرات، وفي الثانية لم يُذكر التكبر إطلاقا، وفي كلتا السورتين لم تذكر قصة إبليس مع آدم عليه السلام.

٣- كذلك وجدنا في سورة الرعد بناء عجيبا لآية السجدة ؛ حيث تشتمل على تضادات معينة ﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ۩ ﴾ [الرعد: ١٥] وإذا بحثنا عن هذه الثنائية المتضادة (طوعا وكرها) (الغدو والآصال) وجدنا السورة تقوم على مثل تلك الثنائيات والتضادات.

٤- كذلك وجدنا الفعل المضارع يشيع في آيات السجدة أكثر من غيره، وعزونا ذلك لما تشير إليه حمولة الفعل الفنية من عرض الصورة أمام من يقرأ تلك الآيات، وهو أمر يتسق وفحوى إشاعة السجود بين المؤمنين، وكذلك حمولته في التجدد والحدوث كما هو ديدن المؤمنين في سجودهم لله تعالى وخضوعهم له.

والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه.

مراجع البحث

١- **البحر المحيط في التفسير**، محمد بن يوسف الشهير بابن حيان، بيروت: دار الفكر ط ١٤٢١هـ.

٢- **البرهان في علوم القرآن** ، للإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط دار الفكر ط الثالثة ١٤٠٠هـ.

٣- **التحرير والتنوير**، للإمام الطاهر بن عاشور ، ط دار سحنون ، تونس.

٤- **التفسير البلاغي للاستفهام في القرآن الحكيم** ، د عبد العظيم المطعني، ط مكتبة وهبة ، مصر، ط الأولى ١٤٢٠هـ.

٥- **تفسير الشعراوي** : خواطر فضيلة الشيخ:محمد متولي الشعراوي حول القرآن الكريم .

٦- **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي**، ط دار صادر، بيروت.

٧- **حديث الأربعاء** ، طه حسين ، مصر ، دار المعارف ط الثانية عشرة.

٨- **دلائل الإعجاز**، للإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود محمد شاكر ، ط الخانجي بالقاهرة، ط الثانية ١٤١٠هـ .

٩- **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني** ، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي ط بيروت: دار الكتب المنيرية ، دار إحياء التراث العربي ١٤٠٥هـ.

١٠- **ساعات بين الكتب**، للعقاد، القاهرة، مطبعة السعادة،، ط ٣، ١٩٥٠ .

١١- **الشعر والشعراء** ، لابن قتيبة ، تحقيق: أحمد محمد شاكر/ ط دار المعارف، القاهرة.

١٢- **صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج**، ضبط وشرح: محمد سالم هاشم، بيروت: دار الكتب العلمية ، ط١٤١٥هـ.

١٣- **صحيح مسلم/** بشرح النووي ، بيروت دار الفكر ط ١٣٩٨هـ.

١٤- **العمدة في محاسن الشعر وآدابه** ، لابن رشيق القيرواني ، تحقيق: محمد قرقزان ، ط دار المعرفة، بيروت ،

١٥- **في ظلال القرآن**، سيد قطب، القاهرة: دار الشروق، ط١٢، ١٤٠٦هـ،

١٦- **قضية الشعر الجديد**، محمد النويهي، معهد الدراسات العربية، القاهرة، ١٩٦٤.

١٧- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، للإمام محمود الزمخشري، ط: مصطفى البابي والحلبي ، مصر ١٣٩٢هـ.

١٨- **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** ، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي ، ط دار الجيل، بيروت، ١٤٠٧هـ

١٩- **مفاتيح الغيب للإمام الرازي** ، ط دار الغد العربي - مصر **ط** الأولى ١٤١٢،

٢٠- **من أسرار حروف الجر في الذكر الحكيم** ، د محمد الأمين الخضري ، القاهرة، دار وهبة، ط الأولى ١٤٠٩

٢١- **نظرية السياق القرآني دراسة تأصيلية دلالية نقدية**، د المثنى عبد الفتاح محمود، ط الأولى ١٤٢٩، دار وائل للنشر

٢٢- **نظم الدرر في تناسب السور للإمام برهان الدين أبي الحسين البقاعي** ، خرج آياته وأحاديثه ووضع حواشيه: عبد الرزاق المصري، ط ٢، بيروت درا الكتب العلمية ١٤٢٧هـ.

فهرس الموضوعات